

إن الاكتفاء ببنية الممثلين في الدراسة كما اقترحها "غريماس" وكما فصلتها في الفصول السابقة هي في الواقع تحويل للفكرة المعجمية المجردة من عامل إلى ممثل وهي "عاجزة على الكشف عن خصوصية النص الدلالية و الفنية (...)", ورد هذه المحاور إلى بنية دلالية أصلية لا يخلقان نصا ولا يحددان القيمة الفنية لهذا النص⁽²⁾.

كما أن النظر للشخصية الروائية كمكون جاهز من مجموعة مواصفات لا يسعف في إنجاز دراسة تسعى لتكون محددة بالمعالم الدلالية التي تتميز كل واحدة منها في النص الروائي كمنتج للمعنى. وبالقدر الذي يكون فيه عالم الشخصية مفتوحا بقدر ما يكون القارئ مالكا لمساحة تأويل وإمكانية تعدد قراءة واسعتين، وما يجب ذكره أن بناء الشخصية لا يكون اعتباطيا، بل هو عمل واع تركزه سلطة من القيود والإكراهات لا يتحقق ككائن نصي إلا من خلالها .

ولهذا يجب النظر في الوظائف والعوامل كمظاهر ثقافية لها خصوصياتها المميزة وهي أولا وأخيرا منجز إنساني يعبر عن رؤيته للحياة، وهو مرجعيها وأساس كل حكم قيمي فيها، فالوظائف لا تتحدد كما يقول "لوتمان" فقط "بتجميع للأفعال فحسب بل بتجميع لأنواع سلوكيات قابلة للتصور ضمن حدود نسق مصنف وأكثر عمومية"⁽³⁾.

والحادثة تولد من قطع المتصل وشذوذ عن العادي والمألوف المتصل في الزمان والمكان لتسريب العلامة، فالصورة كامنة أساسا في انقسام الموجودات: نحن، الآخرون، الهنا والهنالك، الآن و الآنذاك، الثابت والمتحول، الخير والشر، الحياة والموت.

(1) - يمثل الدور الموضوعاتي الصفات التي تكتسبها الشخصية من التواتر اللفظي، فينتج صورا كلها تصب في حقل دلالي معين ينتج معنى. ينظر: إبراهيم صحراوي تحليل الخطاب الأدبي، مرجع سابق ص 184، 185.

(2) - سعيد بنكراد: سميولوجية الشخصية، مرجع سابق، ص 102

(3) - نقلا عن: المرجع نفسه، ص 12.

فالشخصية هي التي تتمظهر فيها كل الأفعال لأنها سندها وحاملها، ولهذا تتميز بالتحول كما أن الوظيفة هي مبرر وجود الشخصية وليس العكس.

ولهذا فالشخصية متنوعة في اسمها وسماتها وأشكال ظهورها. وعليه فإن "عنصري الشخصية والوظيفة مرتبطان ارتباطاً وثيقاً رغم تغيير الأولى وثبات الثانية"⁽¹⁾.

إن الحادثة تتبلور في الشخصية كسند وفاعل لها، كما أن المرجعية الثقافية هي التي تجعل سيرورة الحادثة مؤسسة داخلها أم لا، ويرى "لوتمان" أن "الحدث داخل النص هو تنقل الشخصية عبر حدود الحقل الدلالي"⁽²⁾.

والبنية الدلالية كقيمة مجردة وثابتة، لا تتأسس كوقود للأفعال تحرك سكونها فتخرج من ما هو ممكن إلى ما هو موجود بالفعل، له وجه مشخص فتحيل الصفات الإنسانية إلى أدوار موضوعاتية، تنصهر في عنصر الفضائية، فلا تصبح الفكرة كقيمة بل تصير متدفقة حية في حدود حركتها الفضائية.

لا يمكن القول منذ البداية بأن في النص بنية دلالية. فهذا يتقضى النظر في مستوى البنية المجردة، ثم الانتقال لمستوى آخر يستثمر المعطيات الناتجة عن المستوى الأول وفي إطار سياق مرجعية ثقافية تكشف خصوصية المتن الروائي. ورصده وتفسيره على أساس مرجعيتها، "فالحالات الخاصة هي وحدها القادرة على مدنا بأسس الاختلافات (...)" كما كان التقييم هو سبيلنا إلى تلمس أسس التشابه"⁽³⁾.

(1) - المرجع السابق، ص22.

(2) - المرجع نفسه، ص39.

(3) - المرجع نفسه، ص26.

إن تحديد الأدوار الموضوعاتية لكل شخصية في الرواية يستند للسلوكات والصفات في أشكال متميزة، وهذان المستويان سيقيان في حدود التجريد ما لم يتم ربط المعاني المتولدة عنهما بالإطار السياقي والدلالي فيتجلى المضمون فيه.

الأسماء والصفات:

يمكن القول عن علم دلالة العلامات اللفظية بما في ذلك النصوص الأدبية، بأنها تمثل الدراسة النظرية لعلاقة الكلمة بالعالم، وإشارات النصوص الأدبية خيالية بلا شك وهي ممكنة في العالم الواقعي، لأنه يحمل مرجعية النصوص الأدبية كتخييل، فهي بوتقة تظهر الأشياء، فالنصوص الأدبية تتشكل في آليات سيميائية لبناء عالم متخيل لإنشاء المعنى، وهذا يسهم في فهم أحسن للقضايا والأدوار الموضوعاتية. بسبب غناه وتنوعه وافتتاحه على الممكن من أنماط الحياة والحضارة، وهذا ما يوسع ويغني إدراك وفهم الوظائف الدلالية للأسماء ومنها أسماء العلم، فأسماء العلم هي مشيرات قارة فالاسم نقطة ثابتة لها تأشير محدد في عالم متحول، بينما تتغير الأوصاف.

ويعتبر الاسم الشخصي علامة أساسية بارزة لتأطير الشخصية الروائية فيميزها عن غيرها من شخصيات، كما يعطيها بعدا دلاليا يبدأ في التحديد انطلاقا من ذلك الاسم، بل إنه يتأسس من خلال العلاقة الحالية بينهما لوجود قصديه وإحالة بينهما. فالكاتب يختار اسما للشخصية من بين أسماء متاحة، وقد لا يكفي الاسم المنفرد لتحديد دلالة الشخصية، فيلجأ الكاتب إلى إضافة لقب أو مهنة الشخصية لتميزها عن شخصية أخرى تشترك معها في الاسم .

ويضيف الكاتب علامات أخرى تميز الشخصية في درجات السلم الاجتماعي فيشير إلى شرفها أو لمستوى ثقافتها، أو حرفتها، أو جنسها... الخ

وقد تحمل الشخصية اسما تقليديا بمدلول ديني أو إقليمي، له علاقة وثيقة بالبيئة المحلية التي تعيش فيها الشخصية، وقد تحمل الشخصيات أسماء معاصرة مأخوذة عن الشرق أو الغرب. وهذه الأسماء تلغي بإشارتها هيمنة الأسماء الشخصية فتحتل مكانها في الوظيفة الدلالية .

كما يتدخل الكاتب في تفسير علاقة الاسم بالشخصية فيقدم قصة إطلاق هذا الاسم أو ذاك عليها، مما يعطى الاسم الجديد شرعية التأسيس والدلالة، وقد يلجأ الكاتب في عمله لتبرير تغيير اسم إلى آخر في الرواية ليحافظ على انسجام و مقروئية خطابه.

تمثل الأسماء عنصرا مهما وعلامة مؤشرة على السمة المعنوية للشخصية، فمن خلال تحديد الاسم وثباته وتواتر ذكره في امتداد النص، يتحقق للرواية الوضوح مما يعطي للشخصية الأدبية إيهاما بحقيقة مشروعية وجودها، والكاتب يختار وينتقي أسماء للشخصيات فيعطيه دلالة وقصدية. و يتم تحديد الصفات فتتراكم انطلاقا من ملاحظة توزعها في ثنايا النص الروائي من بدايته لنهايته، فتتميز في كل مرة بعمقها ونمائها واتساعها عما كانت عليه، فتتمدد مرجعيتها، وتسجل داخل حدود الثقافة التي وجدت فيها هي أيضا، من خلال تموضع تلك الشخصية "فالحديث عن مواصفة يتم دائما من خلال لحظتين سرديتين متباعدتين الأولى تنتمي إلى الماضي والثانية تنتمي إلى الحاضر، وكل مواصفة لا تأتي إلا لتؤكد صور صفة سابقة"⁽¹⁾.

و تأسيسا على هذا، فإن الإجراء التحليلي الذي سأقوم به في هذا الفصل يعتمد على تجسد تلك العناصر الوظيفية في شخصيات لها أسماء وأشكال وطبائع ودلالات، وهذا يدفع للنظر في ذلك المتغير مما له علاقة بالوضعيات الخاصة التي تنتجها الحياة ورصدها وتفسيرها على أساس مرجعيتها بالاعتماد على الصفات الكمية مجتمعة، مما يمكن من تحديد الدور الموضوعاتي للشخصية "rôle thématique".

(1) - المرجع السابق، ص 166.

إن وظيفة الشخصية تدفعها لتتسم بصفات ومؤهلات تعبر عن تلك الوظيفة، والسرد يقدم دائما وظيفة حاضرة وأخرى غائبة، الأولى قائمة ومحقة بالفعل وغير مرضي عنها، مما يدفع الشخصية للسعي نحو الدور الثاني الذي تنشده. وعلى امتداد السرد تلتصق بها صفات تتواتر لفظيا، فيولد تراكما دلاليا ينشأ عبر ذلك التراكم الكمي للألفاظ وتتأزرر في ما بينها ضمن حقل معنوي واحد، يمكن من تحديد السمات المعنوية والدلالية "étiquette sémantique".

ويمكن أن تصنف الشخصيات إلى شخصيات جاذبة، وشخصيات منفر، فالشخصية الجاذبة هي التي تكون محبوبة ومرغوبة لكل من رآها أو سمع عنها، بأقوالها وأفعالها وسلوكها، والشخصية المنفردة هي التي تكون عدوانية السلوك قبيحة الطباع بشعة المظهر، تلجأ للعنف، فيخافها أيضا كل من سمع أقوالها و رأى أفعالها وسلوكها .

والشخصية الجاذبة هي تلك التي تستقطب أنظار واهتمام الشخصيات الأخرى - بما في ذلك القارئ - فتحرز على عطفها وتعاطفها.

فجاذبية الشخصية لا يتأسس فقط على مظهرها بقدر ما يتأسس على جوهرها أيضا وقدرتها على الاستيلاء على قلوب من يحيط بها والتأثير في نفوسهم بأفكارها وسلوكها، فلها سلطة روحية وأخلاقية، وعكسها الشخصية المنفرة المرهوبة لها سلطة قمعية تسمح لنفسها بممارسة التسلط على الناس وقهرهم والتدخل في حياتهم لامتلاكها الهيبة والسلطة المعنوية أو المادية.

وهذا التصنيف يقوم على فكرة الثنائية الضدية مجسدة في علاقات الشخصيات، مما يولد التجاذب والصراع بينها فتفتتح عنده الحوافز مما يؤكد سميولوجية الشخصية .

1-1-الرجال:

بالنظر في روايات إبراهيم سعدي وجدت هذه الأسماء ومن معانيها:

"أحمد": من فعل ما يحمد عليه فهو أحمد، ومن صار محمودا فهو أحمد، وهو اسم النبي صلى الله عليه وسلم كما جاء في الإنجيل وفي القرآن.

"جان": مؤنث "جانيت" وهو من أصل عبري، ومعناه الله رحمان رحيم، ومعناه أيضا التينة البرية تعرف بنرجس الشعراء، ومعناه أيضا الروح.

"دحمان" ويطلق على عبد الرحمان، ومعناه الرحمة لأنها فوق العدل، والله سبحانه يشمل برحمته المؤمن وغير المؤمن، فهو الرحمان، رحمان الدنيا ورحيم الآخرة.

و"دحمان" و "دحمون" ومعناه الدفع الشديد، و"دحمان" هو الخبيث كما جاء في لسان العرب.

"دراج": على وزن فعال من قولهم درج الصبي أو الطائر إذا مشى مشيا متقاربا، والدراج النمام و"الدراجي" القنفذ والدراج من يتدرج في سلم العلا.

"موهوب": يطلق على كل ملهم وفنان صاحب موهبة.

"بشير": وهو كل مبشر بالخير والبشرى، وناقل الخبر المفرح، وكثير البشر والبشاشة، الجميل الحسن الوجه .

"عنتر": العنتر الذباب الأزرق، واحدته عنتره، وهو أيضا الرمح العاتر الصلب الشديد، والعنتر الذبح، وهذا إذا كانت النون زائدة.

"زربوط: كنية في العامية الجزائرية تطلق على مقذوف البنادق، وفيه معنى السرعة ويطلق على كل سريع الحركة. وهو الخضروف الذي يلعب به الصبي، وهو سريع الدوران.

"موسى": هو جذر لكلمة فرعونية مسمى بمعنى ولد يلد، ولفظة "موسى" تعني الوليد. ويعني أيضا آله خلق الشعر، وهو في السريانية والقبطية "موشى" مركبة من الماء والشجر حيث وجد عليه السلام عند إلقائه.

"مسعود": وهو الميمون خلاف، الشقي المنحوس .

"مصطفى": المصطفى المفضل المختار، وربنا سبحانه اصطفى آدم ونوحا، وآل إبراهيم على العالمين .

"توري": منسوب إلى النور، و"المنير مرسل النور.

"وناس خضراوي": اسم مركب من الأُنس الذي يجلب الراحة والاطمئنان، و "خضراوي" نسبة إلى الخضرة الموحية بالحياة والخصب .

"موح شريف": اسم مركب من موح بمعنى محمد في اللهجة المحلية الأمازيغية، وشريف نسبة إلى الرفعة والسمو .

"منصور نعمان": اسم يشير إلى الضفر المؤزر بالله، ولقد حقق هذا مقروئيته من خلال دوره في الرواية بحيث خاض تجارب مهلكة في فترات حرجة، لكنه خرج منها سالما معافى، فاستقام من أخطائه وانحرافاتة، واختار طريقه ولم يؤذ أحدا حتى النهاية، فأنعّم الله عليه بالشهادة.

"حميدة رمان": اسم مركب من "حميدة" وهو تصغير لحميد في العامة الجزائرية، ويعني كثير الحمد، وأضيف لـ"رمان" والرمان فاكهة طيبة تجمع حبا كثيرا منضودا.

"جمال بقة": اسم مركب من "جمال" ويبدل على بهاء الصورة، وأضيف لـ"بقة"، والبق حشرة مزعجة بحركتها وقرسها. وبإمعان النظر في هذا الاسم نجده يدل على الشخصية المسماة في مظهرها أو في فعلها، فالرجل أنيق وهو أيضا جميل الخلق يرفض الفساد ويزعج الفاسدين بعمله كصحفي.

"قارح قادري": اسم مضاف للقب يوحى بكثرة الفرح والبشر، وعرف بـ"قادري" لفاعليته في قدرته، والظاهر أن الاسم أيضا يوحى بالأمل في المستقبل، وفي التطلع إليه من خلال وظيفته كشاعر قادر على فضح الفاسدين بالكلمة التي يخشونها فأبعده بالنفى.

"عبد اللطيف بن براهيم": اسم مسند للقب اشتهر به، وبالنظر في دلالاته نجده مغايرا لسلوك الشخصية الدال عليها، فهو ليس عبدا ولا لطيفا، لتشدده مع الناس وترويعهم وقتل الأبرياء منهم.

"سعيد الحفناوي": اسم مركب من سعيد وهي صفة توحى بالراحة النفسية والقناعة والرضا بالوضع وبالحال التي تعيشه الشخصية.

2- النساء:

"ماري": تعني بقرة ذات جلد أبيض، أو امرأة بيضاء كما جاء في القاموس المحيط .

أخذ العبرانيون اسم مريم وجعلوه "ماري" واختلف المفسرون فيه، فبعضهم يقول عابدة زاهدة، وآخرون قالوا مملوءة مرارة. واللاتين والفرنسيون يعنون بكلمة "مريم" الممثلة نعمة، بينما الانجليز والأمريكيون يفسرونها بالسامية إشارة إلى كثرة بنات الملوك اللاتي حملن هذا الاسم، فالليونان والعرب والروس يقولون مريم والفرنسيون والانجليز ماري.

"كاترين": اسم لاتيني يوناني معناه العذراء الطاهرة.

"سوزان": وتعني ذات العمل الصالح، ومن يستحب الثناء عليها.

"فاطمة": نجد اسم فاطمة الزهراء رضي الله عنها في سماء الأسماء، فقد فطمها الله وذريتها من النار يوم القيامة، ولقبت بالزهراء؛ لأنها كانت بيضاء اللون وكانت تلقب بالصديقة المباركة الطاهرة الزكية. يقول اللغويون فطمت المرضع قطعت عنه الرضاعة فمن فاطم فاطمة، ولا بد للنفس من فطام عن الشهوات والمهلكات والمساوي.

"وحيدة": وتعني المنفردة بنفسها، وقد تكون وحيدة دهرها في التفوق والنجاح.

"حميدة": مؤنث حميد المحمودة باستمرار.

"زليخة": اسم زليخة هو مؤنث زليخ تصغير الزلخ، وهو التقدم في المشي والإسراع، والزلخ الشح، وكثرة اللحم والشحم .

"شريفة": وهي النجبية الفاضلة الزكية الكريمة الأصل.

"علجية": ويطلق على المرأة العنيدة وعلى البنت البسيطة، وتعني أيضا معالجة الأحران.

"باية": من بأ. يباؤ نفسه رفعها وفخر بها ، والباي في بعض اللغات تعني السيد. والبايات مقاطع الدرج ومفردها باية ، وهي مستطيلة الشكل نتسلقها لنصل مقاما يجعلنا قبالة السماء. وفي العامية الجزائرية هي مؤنث باي وهو لقب تركي بمعنى أمير الأمراء⁽¹⁾.

(1) - ينظر : عبد الله شريط ومحمد الميللي : الجزائر في مرآة التاريخ، طبع ونشر مكتبة البعث ، قسنطينة ، الطبعة الأولى 1965، ص121،

"شابحة": اسم نسائي ويدل في اللهجة المحلية الأمازيغية على المرأة الجميلة.

"آمال": هو جمع أمل، ويعني التقرب والرجاء، وهي التي تعيش على الأمل فالحياة أمل .

"كليرريدمان": وهو اسم أجنبي ويدل في العربية على الصفاء والوضوح والنقاء، كما أن لفظ "ريد" في

الانجليزية يدل على الحمرة الموحية بتوهج وحرارة المشاعر .

"ضاوية": يدل هذا الاسم على الإشعاع بالضوء المستمر، وقد كانت كذلك في أغلب أدوارها.

بعد أن عرضت معاني أسماء الرجال والنساء في روايات "إبراهيم سعدي" لا بد من بحث الأدوار

الغرضية (الموضوعاتية) التي تؤديها هذه الشخصيات ووجدته بعد الدراسة كما يلي :

في رواية "المرفوضون":

"أحمد": تؤدي هذه الشخصية الأدوار الموضوعاتية الغرضية الآتية على امتداد رواية

كره الحياة وعدم الرضي على النفس، والضجر من حياة الغربة، والتطلع إلى العيش في بلده حتى إذا

كانت أسوء مما هو فيه.

التذمر من الاختلاء بنفسه فقد "كان مستوليا عليه نفور شديد من الذهاب إلى شقته كأنما هو قاصد

ززانة سجن" (1) .

الشعور بالذعر والقلق عند دخوله محلات الأوربيين، لأنها لا تقبل زبائن عربا، ومع أنه يحاول

جاهدا كل مرة أن يبعد عن نفسه ذلك الشعور بأنه إنسان غير مرغوب فيه، إلا أنه " لاحظ بأن

بدلته الزرقاء الجديدة التي يرتديها خصيصا ليعث الثقة في نفسه لم تعسفه في شيء" (2) .

السأم من تفاهة حياته التي لا تكاد تعدو التنقل من الغرفة إلى الحافلة إلى المصنع، و تخلو من

المسرة والأمل.

(1) - إبراهيم سعدي: المرفوضون (رواية)، مصدر سابق، ص 98.

(2) - المصدر السابق، ص 04.

كره الطعام، لأنه في اعتقاده هو الذي جلبه إلى بلاد الغربية، وجعله يعيش حياة الكلاب فـ"هذا الطعام الذي يقوم الآن بإعداده كثيرا ما يثير في نفسه تأففا وقرفا، حينما يفكر بأنه هو الذي جلبه إلى هذا البلد حيث يعيش حياة ليست جديرة سوى بالكلاب المهجورة"⁽¹⁾.

التأدب مع الناس ومساعدتهم، فلم يحب مواجهة جارتها "ماري" التي كانت ترفض جواره وتشاجره كل مرة، فبالرغم من أنه مد يده لمساعدتها على الوقوف بعد وقوعها إلا أنها شتمته يقول لها: "أنا متأكد يا سيدتي بأنني لست أنا الكلب (...). ولو لم تكوني امرأة لما كان جوابي هو هذا"⁽²⁾، كما أنه حاول مساعدة الفتاة الفرنسية المستنقدة به من اعتداء الشرطة فـ"لمح فتاة تهرع من بعيد في اتجاهه وحينما اقتربت راجية منه بصوت لاهت مساعدتها بدون أن توضح له أمرها"⁽³⁾.

الحرمان والحزن ويظهر إحساسه بالحرمان العائلي والتواصل جليا في عدة مواقف نذكر منها: الحزن على وفاة ابنه الوحيد فلم تنزل إلى اليوم ذكرى تلك الوفاة تثير في نفسه حزنا عميقا"⁽⁴⁾ والإحساس بمرارة الحرمان يتكرر أيضا بعد أن التقى بالفتاة الفرنسية وشعر بالدفء يغمره "ذلك الدفء الذي بثته في الفتاة وهي تنشب بذراعه، سرى في كيانه إحساس مريب بالحرمان وجثم على صدره شعور بيأس شديد"⁽⁵⁾.

الشهم: لم تشأ مديرة المدرسة أن يقف التلاميذ له بحجة أنه عربي، فشتمها بالعربية وكانت على دراية بها، ووصف المومس حينما أساءت الأدب معه وشتمته .

(1) -المصدر نفسه، ص135.

(2) - ينظر: المصدر نفسه، ص100.

(3) - المصدر نفسه، ص190.

(4) - المصدر نفسه، ص 06.

(5) - المصدر السابق، ص 19.

الملعون وباسترجاع "أحمد" لحوادث حياته الماضية يدرك بأن اللعنة تطارده فيقر ذلك لـ"مجيد بربوش" صراحة بذلك، "سي مجيد أنني إنسان ملعون" (1) .

"جان": تؤدي هذه الشخصية الأدوار الموضوعاتية الغرضية الآتية على امتداد الرواية .

الكراهية والحقد على صديق طفولته ورفيقه في السلاح "برنار"، فينتقد كل موقف إنساني له أمام زوجته، ويسيء إلى ذكره وتتواتر كراهيته له كلما زار "ماري" في بيتها ورأى صورته معلقة على الجدار "مره أخرى رأى صورة برنار واستولت عليه رغبته الجامحة وحقده في أن يبصق عليها، وينزعها من الجدار ويقذف بها على الأرض ويدوسها برجليه" (2)، وتمتد عنصريته وحقده أيضا للأجانب فيعمل على إذقتهم كل العذاب عندما كان يدير مأواهم، ولم يسلم منه السنغالي "ممدو" الذي شارك أيضا في حرب الجزائر، فعبر بأن "ذلك الزنجي الحقير ما انفك منذ البداية يستفزه" (3) .

المفلس والجبان يضطر "جان" لاقتراض المال من "ماري" التي لا تملك إلا معاش زوجها، وهو أيضا جبان لا يجرؤ على مواجهة خصومة إلا إذا كان مسلحا وليطمأن يتعارض مع دلالة اسمه الرحمة والرفعة، وهو أيضا شرير كذاب.

"ماري": يظهر لنا دور الشخصية المعنوية مما تراكم من مؤهلات عبر وظيفتها السردية وتؤدي الأدوار الغرضية الآتية:

الحاقدة على جارها الجزائري المغترب "أحمد"، فتفرض جبرته وتكيد له وتحمله مسؤولية الفشل في الحياة تقول له: "لقد حطمت حياتي (...). أنت وأمثالك... الأمر سواء عندي لقد قتلتم زوجي." (4)

الوحيدة: تعيش منفردة في بيتها مع كلبها "بابي" الذي تعامله معاملة إنسان، بعد موت زوجها "برنار" كما انقطع عنها زوارها؛ لأنهم ملوا رفع أصواتهم عند الحديث إليها لضعف سمعها.

(1) - المصدر نفسه، ص 185.

(2) - المصدر نفسه، ص 68.

(3) - المصدر نفسه، ص 86.

(4) - المصدر السابق، ص 155.

المدمنة، الشاكية الباكية المتعلقة بالماضي، ولتتسى واقعها أصبحت مدمنة خمر فملت الحياة

الحاضرة تقول: "لقد مللت من هذه الحياة... سأقتل نفسي ذات ... يوم ... إن الرب لا يحبني (1).

السيدة "سوزان": وتمثل هذه الشخصية متكأ فكريا لإظهار معاناة "أحمد" في غربته. تؤدي أدوارا موضوعاتية منها :

الاشفاق على "أحمد" لأنها رفضت إلحاح "ماري" وتحريضها لطرده من الغرفة، وإظهار بعض المودة لأحمد، ثم الانقلاب عليه ودعوته للمغادرة بقسوة بعد علمها بإحضار المومس "كاترين" ليلا لغرفته "ولكن الشيء الذي لم يكن يدركه أبدا هو أن السيدة سوزان حينما أغلقت باب بيتها على نفسها، وارتمت على فراشها أجهشت باكية" (2).

المومس "كاترين" : تؤدي أدوارا موضوعاتية منها :

الممزقة الوجدان المعذبة القلب تفكر في الانتحار، لأنها أخففت في حياتها الزوجية بعدما تولى عنها زوجها مارست البغاء كما تولى عنها طفلها لما كبر، فصارت تكره الولد كالموت، ورغم ذلك ما زالت عاطفة الأمومة تدب في قلبها تقول: "إنني أكرهه كالموت (...). لكني أريد أن يعود في الحقيقة (...). يجب أن اعمل كل شيء، من أجل أن أنساه" (3). أما حالها فأحسن بكثير من حال أحمد تقول له: "أنا مومس وأحسن منك بألف مرة... لو رأيت غرفتي وحدها لخلجت من نفسك." (4)

الأدوار الغرضية (الموضوعاتية) التي تؤديها الشخصيات في رواية "النخر" وهي كما يلي:

موهوب ويؤدي الأدوار الغرضية التالية:

المحبوب الخدم: وشخصية "موهوب" شخصية جاذبة تستقطب كل محاور السرد الروائي من بدايته إلى نهايته فهو كاتب وقارئ الرسائل لأمه "باية" وأميين أسرار العائلة، يحبه الناس خارج البيت أيضا

(1) - المصدر نفسه، ص 41.

(2) - المصدر نفسه، ص 133.

(3) - المصدر السابق، ص 105.

(4) - المصدر نفسه، ص 129.

ويميلون إلى الإسرار له بهمومهم كأنه لا يحسن غير الإصغاء، وهو أيضا بار بأمه عطوف على زوجته "شريفة، محترم لأخيه "دحمان" بالرغم من إساءته له، متألم لمعاناة أخته "زليخة" وقسوة زوجها "البشير" .

"دحمان": وهو من الشخصيات الرجالية المنفردة، ويؤدي الأدوار الغرضية الآتية:

الصلاح والاستقامة، فقبل الزواج بفاطمة يقدم لنا السرد خلفية على حياته الشخصية التي تميزت بحب الخلق والدين.

الإدمان والتشرد، إثر الزواج من "فاطمة" تظهر لنا الشخصية متشردة مدمنة على شرب الخمر والزنا بسبب ضغوط نفسية وأسرية مارستها عليه "فاطمة" التي لم تقتنع به، مما أدى إلى فشله في الحياة، لقد أصر على تدمير "فاطمة" كما أصرت هي أيضا على تدميره، ورغم محاولته التوبة إلا أن إصرار "فاطمة" على تدميره جعله يعود إلى انحرافه وصار عبدا للشيطان، ويرى كل الناس يكرهونه ويتآمرون عليه يقول لأخيه "موهوب" عن زوجته: "أنا أعلم جيدا بأنك تتآمر علي معها." (1)

البائس الممقوت، تراه زوجته رجلا بائسا ممقوتا ليس الذي كانت تحلم به في تلبيه طموحاتها وأحلامها المؤودة.

"الزبير": وتؤدي هذه الشخصية الأدوار الموضوعاتية الآتية:

المنفردة دائمة الحزن، وكما رسمها السرد لا تبتسم تعيش لنفسها فقط، وعلاقة الزبير بإخوته وأمه ضعيفة إن لم تكن منعدمة .

"عبد القادر": يؤدي الأدوار الموضوعاتية الآتية :

العقوق والانتهازية، شخصية "عبد القادر" شخصية منفرة وصولية عديمة الإحساس والضمير لا يقيم وزنا لأحد، ولا يعرف للحب طعما، ولا للصدقة وزنا. إنه رجل نفعي يبيع كل قيمة أخلاقية وإنسانية بالمادة، يسعى دائما لبناء سعادته على شقاء الآخرين وخاصة زوجته "علجية".

(1) - إبراهيم سعدي : النخر (رواية) ، مصدر سابق ، ص 240.

الخال "بو علام": وهو من الشخصيات الجاذبة ذات الإشكالية ويؤدي الأدوار الموضوعاتية الآتية:

الطموح، يسعى دائما للمكانة المرموقة في مجتمعه، فبذل جهدا في التعلم وتخلص من أميته ووصل

إلى رئاسة التعاونية، ويأمل في أن يصير رئيس بلدية أو عضوا في البرلمان.

المتدين، يحب الجمال الذي ما وجده في زوجته "شابحة" فحاول في شبابه العبث والتمتع

بـ"علاجية"، لكنه غير مجرى حياته فتاب وصار مقيما لأركان الدين ويسعى للحج.

الأم "باية": تبدو في الظاهر شخصية منفرة باستغلال دورها كأم، فتحكم قبضتها على كل أفراد الأسرة

وخاصة النساء وتؤدي الأدوار الموضوعاتية الآتية:

المهيمنة، تمثل شخصية الأم لا تعيش لنفسها، بل لأسرتها فتحرص على تماسك أفرادها ونشقى من

أجل سعادة كل فرد فيها، تشرف على تدبير كل صغيرة وكبيرة في البيت، ولهذا يعيش معها أبناؤها

وزوجاتهم وابنتها "زليخة" المتزوجة كذلك " كل شيء تحت قبضتها ورحمتها." (1)

الوفية، تصون ذكرى حبا لزوجها وكأنه حي، وتحفظ ود صديقة طفولتها المتوفاة "فروجة" فتزوج

ابنتها "علاجية" لولدها "عبد القادر"، تضطرها الظروف لترك بيتها لتصونه من التفكك الذي دب فيه

بسبب تمرد "فاطمة" فتعيش فترة في بيت ولدها الزبير وقد انسحبت الآن من الميدان انسحاب

محارب أسلم سلاحه بعدما نال منه اليأس والتعب والعناء" (2)، فأثر هذا على حياة البيت فاختلف

توازنه.

"شريفة": وتؤدي الأدوار الموضوعاتية الآتية:

الفاضلة والمحبوبة، "شريفة" امرأة جميلة فاضلة متخلقة تحب زوجها تؤثر رضاه على رضاها

وتعيش لأجله و لإسعاده "لا تستطيع التخلي عن موهوب مهما كانت الظروف." (3) تحلم أن تكون

(1) - المصدر السابق، ص 114.

(2) - المصدر السابق، ص 275.

(3) - المصدر نفسه، ص 120،.

أما لتسعد زوجها فتسأل "باية" عن حملها بطفل "أظنين أنني سأحمل مثل غيري من النساء يا خالتي باية".⁽¹⁾ أحببتها "باية" وأحبها أبناء "دحمان" أيضا وتعلقوا بها حتى أن "فاطمة" جعلت تظهر لها الضيق والتذمر بسبب انجذاب أبنائها نحوها وتعلقهم بها⁽²⁾، كما أحببتها "زليخة" أيضا وأقامت صداقة معها وراسلتها وقالت: "عنها إنها امرأة جديرة بالاحترام والحب".⁽³⁾ كما أشرفت على ترميض "باية" قبل وفاتها، وبكتها بعدها .

"علجية": وتؤدي الأدوار الموضوعاتية الآتية:

المهذبة الهادئة المستسلمة و الرومانسية، علجية فتاة جميلة مهذبة هادئة مستسلمة لآلامها في سكون وصمت تتطلع لتعيش مع زوجها الذي أحبه، وتتشوق لتتجنب فتكون أما، تعيش في عالم الأحلام والرؤى أكثر من عالم الواقع، كما أنها تعاني من رواسب حياتها القاسية الماضية أيضا. هي ابنة غير شرعية في عروقها دماء فرنسية وبسبب ذلك ذاقت قهر "شابحة" وازدراء أطفال القرية. إن إخفاقها في الحياة أدى بها إلى اليأس من الحياة ثم إلى الجنون والانتحار .

"زليخة": وتؤدي الأدوار الموضوعاتية الآتية :

المحبوبة المدللة، هي امرأة جميلة محبوبة مدللة أسرتها في طفولتها، إنها امرأة جديرة بالاحترام والحب.⁽⁴⁾ ورقيقة كذلك و متمسكة بطفولتها رغم بلوغها، وهي في سن السادسة عشرة كانت تلهو بألعابها وتلبس ملابسها القديمة "في محاولة يائسة لاسترجاع طفولتها المنقرضة"⁽⁵⁾ المحببة لزوجها وكانت تحلم بالعيش معه بعيدا عن أسرتها.

(1) - المصدر نفسه 173.

(2) - المصدر نفسه، ص 228.

(3) -، المصدر نفسه، ص 93.

(4) - المصدر السابق ، ص 93.

(5) - المصدر نفسه، ص 182.

المهذبة والخجولة من ظهورها في حضرة زوجها وأخويها، متمسكة بأخلاقها والنشأة التي درجت عليها "فدحمان هو الذي أنشأ زليخة عن قواعد الدين الحنيف"⁽¹⁾، وهي أيضا متألمة لفراق أسرتها والبيت التي نشأت فيه.

"فاطمة": وتعد شخصية منفرة بسبب ما عانت منه من قهر والدها لتطلعاتها وأحلامها، مما أثر على تصرفاتها وفي علاقاتها العدوانية بمن يحيط بها في البيت وخاصة "دحمان" ووالدته "باية" ولذلك تؤدي أدوارا موضوعاتية كثيرة ومنها:

العنف والحقد، فتلجا للعنف مع أولادها ومع زوجها ومع "زليخة" و "شريفة"، ولا تظهر إلا بشعة المنظر قبيحة الجوهر، فالحقد باد على وجهها والبغضاء ظاهرة في تصرفاتها وقولها، تتمنى خراب البيت وهلاك كل ما فيه.

الحالمة بتغيير وضعها حتى بعد فوات الأوان، فلا تياس وتحاول، لكنها تدرك أن الزمن تجاوزها، لقد أخفقت بالرغم من أنها كانت تملك كل عوامل النجاح ونجحت "حميدة" زميلتها التي لم تكن تملك ذلك، وتعود لبيتها منهارا الوجدان فتخسر كل شيء .

"شابحة": تؤدي أدوارا موضوعاتية منفرة نذكر منها:

بشاعة مظهرها وشراحتها للأكل جعلت زوجها "بوعلام" يكرهها وقسوتها على "علجية" كما أنها تمارس السحر .

ومن الشخصيات النسائية الجاذبة وذات الإشكالية السيكولوجية أذكر شخصية "وحيدة" وأدت الأدوار الموضوعاتية الآتية:

البغاء والتوبة، دفعتها ظروف حياتها إلى البغاء فمارسته مدة، لكنها اعتزلته، وتابت وتطلعت لتعيش حياة نظيفة في إطار الزواج مع زوج يرضى بها.

وبمطالعة رواية "فتاوى زمن الموت" تبدو الأدوار الموضوعاتية التي تؤديها للشخصيات كما يلي:

(1) - المصدر نفسه، ص 194.

"زربوط": وهو شخصية منفرة بمظهرها وأفعالها وتؤدي الأدوار الموضوعاتية الآتية:

الجهل والطيش والاحتيال والحمق والسرقة وارتكاب الفاحشة في طفولته ومراهقته، لكنه صار شخصية مغايرة تماما لما عرف به، بعد أن انضم لحزب "الجبهة الإسلامية" فتخلى عن سفايف الأقوال والأعمال لما هو أشد وأخطر.

المتشدد، فأصبح يتدخل في شؤون الناس ويحاسبهم على تصرفاتهم انطلاقا من وجهة النظر الدينية ويبلغ "موسى" بكل كبيرة وصغيرة، ويقوم بالأعمال الإرهابية واغتيال الناس ووضع القنابل في الأماكن العامة من الحي، وباختصار فإن هذه الشخصية مندفة تابعة لا إنسانية ولا ضمير لها ولا خلق.

"موسى": شخصية منفردة مريضة، ويؤدي الأدوار الموضوعاتية الآتية:

الانطواء والانعزال وضيق الأفق وقلة الثقافة، فلا يتواصل مع الناس، ولم يعرف للحب معنى وهذا جعل "موسى" متسلطا متشددا متطرفا يرى كل من خالفه الرأي عدوا كافرا ولذلك أفتى بتكفير الناس وإقامة الحد عليهم وعلى رأس هؤلاء أخوه "موح".

حب التسلط تخلى عن الصوفية إلى التشدد، بمعنى أن حياته وعمله كان قد كرسه في البداية للعبادة والانقطاع لحب الله ليتحول للعمل الدنيوي، والمطالبة بالسلطة ومحاسبة الناس وتعنيفهم والتشديد عليهم بارتكاب الكبائر من أجل الصغائر، ولهذا قد انحرف عن مبادئ حركة "الدعوة والتبليغ" التي تنتهج أسلوب الرفق واللين في التعامل مع الناس فمن أحب الله أحب الناس.

"مسعود": شخصية جاذبة لمن يتواصل معها، ويؤدي أدوارا غرضية أذكر منها:

التحرر والانضباط واحترام الآخر ونبذ العنف، وسعة الثقافة والاطلاع على كتب الفلسفة والأدب العالمي، وحب الموسيقى، والغناء والتحرر في الفكر والسلوك، فما عاد يؤمن بالقيم الخلقية والأفكار الدينية التي تحكم المجتمع، لكنه أسس قيما لنفسه والتزم بها فهو لا يكذب ولا يسرق ولا يخون ولا يتعدى على الناس .

"عنتر": يؤدي الأدوار الموضوعاتية الآتية:

الرومانسية والمحبة تميز برقة الأحاسيس حب الموسيقى والغناء وتطلع ليكون فنانا، فتنهمر دموعه عند سماع أغاني "عبد الحليم حافظ". كما أقام صداقة حميمة مع "موح" و "مسعود".

"موح": شخصية جاذبة لها علاقات بكل الشخصيات يؤدي أدوارا غرضية كثيرة أهمها:

التحرر في الفكر والسلوك، والتسامح مع الناس، و الجرأة في الدفاع عن الرأي، وبعبارة أكثر وضوحا، هو النقيض والمعارض لأخيه "موسى" والمختلف معه في كل شيء بالرغم من أنهما من أصل واحد، ومع ذلك يعطف على "موسى" المرصه، لم يشأ تبليغ الأمن عنه بسبب رابطة الدم ولحسن الظن به. ومن الأدوار الغرضية التي تؤديها الشخصية أيضا الانتقال من مكان لآخر خوفا من الاغتيال والإحساس بالعدمية والغربة والوحدة.

"خوخة": فتاة من فتيات الحي وتؤدي أدوارا موضوعاتية كثيرة من أهمها:

التحرر وبرز هذا من خلال خروجها للعمل وعدم ارتداء الحجاب، خلافا لما هو شائع بين فتيات الحي والبلد، كما إنها تتساق وراء أهوائها، فتقيم علاقة حب مع فرنسي، وتفر مع فتسيء بذلك إلى أسرتها .

الثقة في النفس و تعود إلى الحي بعد أن استنفذت تلك العلاقة من غير خجل، فتلتقي صد أهله فتزني بالحجارة، وتشتتم وتتعت بأقبح الصفات.

التألم تتألم لما أصابها و أسرتها، وتتحمل مسؤولية فعلها .

الشيخ "عبود": شخصية جاذبة يؤدي أدوارا موضوعاتية عدة أذكر منها:

الزهد في الدنيا ووعظ الناس في الأماكن العامة وفي الجنائز، فلا أهل له ولا سكن دائم الذكر وهو شخصية مسالمة، ومع ذلك كفرتها جماعة موسى واغتيل في يوم العيد كانت أضحية المتشددین .

"بو راسين": شخصية جاذبة محايدة وتؤدي الأدوار الموضوعاتية الآتية:

البعد عن الواقع فلا صلة له بالواقع بكل تراكماته لا بالماضي لأنه فاقد للذاكرة، ولا بالحاضر لأنه تعيش على صدقات المحسنين لكنه في أواخر حياته أصبح يعيش حاضره مع جهل حقيقته وماضيه وصار يتطلع للمستقبل ويحتك بأهل الحي .

وفي رواية "بحثا عن آمال الغبريني" نجد كل شخصية تؤدي الأدوار الموضوعاتية (الغرضية)

الآتية:

"وناس خضراوي": شخصية جاذبة لآمال يساعدها حينما تطلب منه المساعدة يؤدي الأدوار الموضوعاتية الآتية:

الخدوم والولي: تزي فيه "آمال" قريبا لها، بل آخاها الأكبر تطلب استشارته في شؤون حياتها وزوجها وطلاقها، كما تطلب مساعدته المادية.

المحب: لم يستطع في البداية أن يتبن مشاعره نحوها لذلك يدفعها دفعا، ويراهم أنانية لكنه في الأخير وحينما ابتعدت عنه "آمال" يدرك طبيعة حبه لها ومدى تعلقه بها، فيجوب البلاد تاركا عمله بحثا عنها متعقبا أخبارها، كما بحث عنها في تونس وإيطاليا، وفي الأخير قرر البحث عنها في بلاد الساحل الصحراوي الإفريقية، أملا في العثور عليها رغم اعتلال صحته، ومع أن "موح" شريف" حاول إشغاله بأخته "هدى" الشابة الرائعة الجمال ليدع البحث عن "آمال"، لكنه أصر على تمسكه بها .

التكتم: لا يشير "وناس خضراوي" أو الأستاذ "مصطفى نوري" إلى اسم "آمال" ويكتفي بالإشارة إليها بعبارة أبحث عن... ويتكتم عن سره حتى في حال مرضه، فلما زاره "المهدي" في المستشفى وحاول مساعدته، عبر له عن صداقته له قائلا: "أصبحت صديقا حميما لي لن أخفي عنك شيئا بعد اليوم"⁽¹⁾، ومع ذلك فقد أخفى عليه أمر "آمال" وقصته معها وسعيه في البحث عنها.

"المهدي": وهذه الشخصية تؤدي أدوارا موضوعاتية كثيرة، ويمكن الإشارة إلى أهمها :

(1) - إبراهيم سعدي: بحثا عن آمال الغبريني (رواية)، مصدر سابق، ص123.

الهروب، يلتقى المهدي" أو "الحراشي" أو الهارب تهديدا بالموت من قبل الجماعات المسلحة ويتعرض لإطلاق الرصاص في السوق، فلا يصمد ويفر حفاظا على حياته نحو مدينة الجنوب بعدما تخلى عن مباحج الحياة في الشمال، ليعيش حياة يكرهها فالتخيل له بأنه لن يجد لنفسه مكانا أينما ذهب وبأن العدم هو العالم الذي خلق من أجله. (1) .

المتعاطف، يحاول "المهدي" أن يقترب من الأستاذ "وناس خضراوي" حينما رآه أول مرة، معتقدا أنه سبقت له رؤيته، فينجذب نحوه، ويتعقب تحركاته، ويساعده في مرضه، ويدرك بعد ذلك أنه أستاذ "آمال" الفتاة التي عاشها مدة خلت في فندق الجنوب قبل أن يقبل "مصطفى نوري" (وناس خضراوي) أستاذها السابق باحثا عنها، فيدرك بأنه سيثد رحاله نحو دول الساحل الصحراوي الإفريقية بحثا عنها يحاول أن يثنيه عن الرحيل إشفافا عليه لتعرضه لأزمة قلبية سابقة.

المنقلب الغيور، "المهدي" أيضا وقع في حب "آمال الغبريني" بعدما عاشها في الجنوب، فصار مهووسا بها، وتتنازع الغيرة والإشفاق قلبه، فتتغلب الغيرة في نفسه على إنسانيتها، ويقرر عدم ذكر مرض الأستاذ "وناس خضراوي" لـ"سحنون جنجن" وفكر بمرارة أنه لا يزال بوسعه أن يغلق في وجهه أبواب الصحراء إن شاء وينقذه من الموت، لكن ألقى نفسه لا يحس بأي دافع للعمل في هذا الاتجاه (...). وتتمنى أن تجد لدى "جنجن" الترحيب اللازم بمشروع رحلة الموت هذه (2).

المحب، يبدو أن "المهدي" أيضا أحب "آمال الغبريني" وتعلق بها "أكيد أنه كان سيتحمل العيش في هذه المدينة سنوات أخرى وربما طول العمر لو بقيت فيها بالطبع. (3) .

المتذمر من الحياة، فصار كل شيء في حياته الجديدة بمدينة الجنوب لا يروقه كعادته، يفكر كيف سيقضي يومه المتعب الثقيل، لقد فقد كل شيء في تلك المدينة اهتمامه، فلا قيمة للوقت ولا للحياة،

(1) - المصدر نفسه ، ص 84.

(2) - المصدر السابق ، ص 19، 192.

(3) - المصدر نفسه ، ص 41.

فالإحساس بالتفاهة والفراغ صار مسيطرا على حياته البائسة، فلا يجد سبيلا إلا السكر وتناول الحشيش والهيروين ف"هذه الحياة التي صار يقضيها لا معنى لها اللهم إلا من حيث أنها تسمح له بالاستمرار في العيش".⁽¹⁾

المتشرد والمفصول و المهدد بالموت ولا يستطيع "المهدي" أن يتجاهل وضعه هذا فهو رجل مفصول عن عمله ومحكوم عليه من قبل الجماعات المسلحة بالموت يقول لـ"موح شريف" الذي عرض عليه الزواج من أخته "هدى" "إنني إنسان ضائع بلا عمل صارت الكوكابين تجري في عروقي"⁽²⁾ .
الحازم، يقرر "المهدي" عدم البقاء في الجنوب والانتصار على خوفه بدافع خفي أعتقد أنه البحث عن "آمال الغيريني" التي اكتشف أنها ربما ما زالت في الجزائر، بعدما هلك منافسها في حبها "خضراوي" في مالي بأزمته القلبية بحثا عنها، و"موح" شريف بداء السيدا القاتل.
تظهر الأدوار الموضوعاتية في رواية "بوح الرجل القادم من الظلام" كما يلي:

"منصور نعمان" يؤدي الأدوار الموضوعاتية الآتية:

المعاناة من المراهقة المبكرة مما جعله لا يعيش طفولته كغيره من أقرانه، وتدلليل والديه والمبالغة في اعتباره الطفل الوحيد البريء المعتدى عليه أثر سلبا في سلوكه، وانعكس على تربيته الشقية.
القبول من النساء فأدى به إلى اقتناص المتعة في أي ظرف وفي أي حال ومع "وردية" و"مسعودة" المطلقة و"زكية" والسيدة "كلير ريدمان"، "سرين شيراز"، والفتاة "الملغاشية"، وزواجه من أربع نساء، فقد أقام علاقات بهن وقضى وطره منهن.

الأنانية والسلبية والهروب وعدم تحمل المسؤولية جعله دائما يشعر بالخوف والمطاردة ولهذا لم يقم بالمشاركة في الثورة يتواتر قوله عن نفسه بأنه خافض الرأس.

(1) - المصدر نفسه، ص 56.

(2) - المصدر السابق، ص 236.

الملعون، فيعتقد بأنه ملعون وبأن اللعنة تطارده أينما وجد، وتحل بمن أحبه بمن وأقام علاقة معه من النساء، لذلك يعيش حزينا متألما، بلا أصدقاء، وكان لعنة ومعاناة تصيب كل من أحبه وأقام علاقة معه.

مجاهدة النفس والقسوة عليها فطلب من "صالح الغمري" أن يعينه في أفسى مناطق الجزائر وترويضها بمجاهدة شهواتها جميعها، والهروب إلى الله هروبا صوفيا لتحقيق نقاء النفس، وتخليصها من الذنوب.

المثير للريبة بعدما انقطعت صلته بماضيه في مدينة "عين..."، التي لا يعرف عنه الناس شيئا إلا ما أشيع هذا جعله محل شك المنفيين .

الاستقامة والتمسك بالدين والخلق، فصار ملازما للمسجد كما أدى فريضة الحج، رغم أن "سيلين" الفتاة اليهودية كانت قد حاولت إنشاءه على الفكر الشيوعي.

الطيبة فعمل "الدكتور منصور" في مستشفى عمومي في أشد مناطق الجزائر قسوة، ليؤدب نفسه وليكن خادما للناس عاملا على إسعادهم، والتخفيف من ألامهم .

"حميدة رمان": وبالنظر في هذا الاسم نجده يدل على مسمى، فالشخصية قنوعة راضية مثقفة وساخطة على المنحرفين. وبالنظر لباقي شخصيات الرواية فإنها تؤدي الأدوار الموضوعاتية الآتية: المعاناة من النفي والمعارضة والفساد.

العطف على الفقراء وعلى الحيوان.

الإيمان بحرية الفكر والرأي و النضال والتضحية في سبيل ما يؤمن به ورفض الحقائق المطلقة واليقين.

"جمال بقة" ويؤدي دورا موضوعاتيا هو:

المعاناة من النفي لمحاولته كشفه للفساد للرأي العام في الصحافة.

"فارح قادري" ويؤدي دورا موضوعاتيا هو:

المعاناة من الغربة في المنفى لمعارضته الفساد بالكلمة.

"عبد اللطيف بن إبراهيم" (أبو أسامة) يؤدي الأدوار الموضوعاتية الآتية:

تدني مستواه الثقافي الذي لم يتعد القسم النهائي.

القسوة والتشدد وتكفير الناس، وقتلهم وترويعهم فلم يسلم منه أحد.

"سعيد الحفناوي" ويؤدي الأدوار الموضوعاتية الآتية:

الزهد في الدنيا، واعتزالها مع امتلاكه أسباب الغنى.

اعتزال الناس والانقطاع للعبادة حبا لله.

التمتع بقوة روحية وإيمانية عالية وكرامات.

السيدة "كلير ريدمان": وتؤدي مجموعة من الأدوار الموضوعاتية أذكر أهمها :

التمسكة وجدانيا بالجزائر، والمعاناة عند لحظة الفراق، القلقة المترددة بين البقاء في الجزائر

أو مغادرتها.

المترفة عن متاع الحياة فتتخلى عن كل ممتلكاتها لمنصور .

النزهاء والبعيدة عن العنصرية المعهودة في الأوربيين.

المتمتعة بقدر مرموق من المكانة الثقافية والاجتماعية .

المحبة لـ"منصور" الرقيقة معه.

"ضاوية": تؤدي الأدوار الموضوعاتية الآتية:

الحالمة الطموحة لرغبتها في تغيير وضعها بالخروج من مدينة "عين ... " إلى الحياة في مدن

الشمال ، .

المحبة لزوجها وابنها القلقة على مصيره، الخائفة المرعوبة من تدهور الوضع الأمني.

الرقيقة الوديدة العطوفة على الضعفاء والفقراء.

المتألمة لاغتتيال ولدها وزوجها.

المتفتحة بارتدائها الزي الأوربي، و المؤتمنة والمطلعة على كل أسرار زوجها، و سماحها له بالزواج عليها من أخريات وتقيم علاقات طيبة بهن.

ومما تقدم يمكن القول :

إن الشخصيات يقوم بينهما تعارض على أساس بيئي فتظهر أدوارها الغرضية من خلال مؤهلاتها، وبذلك تملأ الفراغ الدلالي بالعلامات التي تؤشر عليها، فهناك "أحمد" العامل الجزائري الذي أضاع أسرته لاشتغاله بالعمل في فرنسا، يعاني من قهر الميز العنصري في الفضاء الفرنسي، في المقهى والشارع والعمل والسكن، فيتعارض مع محيطه ويتجسد أكثر في جارته "ماري" التي تحمله مسؤولية فشل حياتها، وتحمله قتل زوجها ومعاناتها المملوءة بالمرارة، ولم يحمل "أحمد" أحدا من الشخصيات الفرنسية مسؤولية معاناته وأرجع ذلك للقدر وللعنة أبويه تطارده، ولذلك أجده مستسلما قانعا بما هو فيه، وحاله موافقة لمعنى اسمه .

يتعارض "أحمد" مع المومس "كاترين" فبالرغم من اشتراكهما في المعاناة النفسية وفقدان كل واحد منهما حياته الأسرية، فإن المومس "كاترين" ترى حالها أحسن منه بألف مرة وبالرغم من عصاميته . يتعارض "أحمد" مع "مجيد بربوش" فالأول مقيم بصفة شبه دائمة في فرنسا بينما جاء الثاني للبحث عن أخيه "عيسى بربوش" الذي يمثل ذكره صورة العامل الجزائري المهاجر الذي عانى من قهر الغربة والحاجة لدرجة الجنون، وقد شارف "أحمد" على ذلك فـ"مجيد" يمثل الأمل وشرف الذات وتغيير نظرة الجزائري للعمل في المهجر، بينما يمثل "أحمد" الفشل والضياع.

يقدم لنا السرد صورة مجملة عن حياة العمال العرب و"أحمد" واحد منهم، تلك الصورة الموحية بالمعاناة والشقاء والفقر، في بيئة غريبة عنهم، إلا أنها لا تعترف بفضلهم، وتدرجهم في أخط المستويات "هؤلاء الغرباء هم الذين يحس الفرنسيون إزاءهم بالخوف والقلق (...)"، ويعملون على

تجنب الأماكن التي يرتادونها، ويستاعون أشد الاستياء حينما يقطنون بالقرب منهم، ويعتبرون ذلك دليلاً على انخفاض مستوى معيشتهم.⁽¹⁾

وفي رواية "النخر" يمكن القول، أن شخصية "باية" جاذبة لمن حولها - بالرغم من هيمنتها - فإنها استطاعت أن تفرض احترامها على محيطها بسلوكها، ولذلك قد استقطبت بنائياً شخصيات أخرى تشبهها كشخصية "شريفة" و"علجية" و"زليخة"، وهذه الشخصيات تتعارض بنائياً مع شخصية "فاطمة" تلك الشخصية التي أوتيت صفات الشخصية الجاذبة في الظاهر، من حسن و جمال وثقافة، إلا أن **طباعها الشريرة جعلتها لا تحقق أحلامها في طبيعة الحياة التي تحلم بها مع الزوج** الذي تختاره، فقهر أبوها إرادتها، وزوجها **لمن دفع له أكثر**، كما أن تكبرها وأنانيتها جعلها شخصية طارده منفرة لأمها وأبيها فلا يزورانها، إنها في الواقع ضحية أسرتها، لكنها لم ترض بما قدر لها فانتقمت من وضعها الجديد. في بيت زوجها تمردت على زوجها، وخصصت "باية" وضربت أولادها وكذلك "شريفة" و"زليخة". لقد أخفقت في امتحان حياتها، رغم أنه كانت بيدها أسباب النجاح التي لم تتوفر لزميلتها في الدراسة "حميدة"، ومع ذلك فقد نجحت هذه في ما أخفقت فيه تلك. ولذلك كانت هذه الشخصيات تشكل قطبين قطب المحافظة على استمرار الحياة في إطار الشخصية والوئام والاحترام والمحافظة على الزوج والأسرة والقبول بالآخر والتعايش معه في حدود المتاح، وقطب يتمثل رفض الآخر وتغليب الذاتية والمصلحة الخاصة والنظر للحياة من تلك الزاوية المادية، بالتخلي عن قيم الأسرة والمجتمع، من محبة وإنسانية فتسعى إلى تدمير الأسرة سعياً لتحقيق مطامحها الذاتية والتمتع بالحياة قبل الممات، وبما بقي من شباب قبل فوات الأوان. و تشاركها في البناء شخصية "شاحبة" تلك المرأة المستغلة لـ"علجية" في طفولتها الراضة للعيش معها بعد تطبيقها لزوجها بمظهرها وجوهرها، المستعملة للسحر والشعوذة الإيقاع بـ"باية" وأهل بيتها، لأنها تريد كل شيء لنفسها فقط.

(1) - إبراهيم سعدي: المرفوضون (رواية)، مصدر سابق، ص 29، 30.

وتتعارض بنائيا مع شخصية "وحيدة" المومس أيضا، فتلك المرأة الجميلة التي تعيش حياة الحرية المطلقة في إطار البغاء استطاعت أن تستقطب الرجال ومنهم "دحمان" زوج "فاطمة". نجدها في النهاية تقوم حياتها نحو الاستقامة فتتخلى عن ممارسة البغاء، وتتوب وتنتظر الزوج الذي يقبل بها. أما "فاطمة" فأصرت على رأيها لأنها في الواقع لا تعيش إلا لنفسها وتكره البيت الزوج والأولاد .

وشخصية "دحمان" شخصية مركبة تربي على الاستقامة وحب الدين وأحب "فاطمة" وأضرب عن الطعام ليخطبها له أبوه "حمو"، لكنه بسبب تمرد "فاطمة" ونشوزها ترك الصلاة وشرب الخمر وزنى بـ"وحيدة"، بل أحبها وصار عبدا للشيطان، وكره "فاطمة" كما كرهته، لكنه أحب أولاده رغم انسحابه من حياة أمهم. نجده في أوج انحرافه **يثوب لرشده فيتوب مجددا ويعود** للاستقامة، لكنه لم يجد من فاطمة إلا نفورا وإعراضا، فعاود فسقه وانحرف كل الانحراف وأقدم على الانتحار كما ظهر في آخر الرواية **بعد ترك فاطمة للبيت الذي أصابه الخراب.**

وفي رواية "فتاوى زمن الموت" يمكن القول أن "عنتر" و"مسعود" و"موح" يمثلون التيار المتحرر في الحي المعارض لـ"موسى" وجماعته، لكن الرومانسية لا تكفي للمعارضة، فلا بد من وعي وفكر وثقافته، وهذا ما لم تملكه شخصية "عنتر" مثلا لتتحول من النقيض للنقيض، فتتضم لـ"موسى" وجماعته من العاطلين عن العمل وأبناء الفقراء والحيارى والقلقين و المهمشين والخائبين.⁽¹⁾

فيتنكر لمبادئه ولصداقته، ويذبح "عنتر" "مسعودا" ليلا في بيته .

وأما شخصية "مسعود" فقد بقيت متمسكة بفكرها الليبرالي، بالرغم من الانقلاب العظيم الذي أصاب سلوك شباب الحي، وبالرغم من الدعوات المتكررة لـ"زربوط" و"موسى" والمقاطعة والتكفير والتهديد بالقتل، إلا أنه أصر على موقفه بثبات حتى دُبح في بيته .

ويمكن أن نجد في اسم شخصية "عنتر" ما يدعم هذه القراءة، فـ"عنتره العبسي" كان رجل موقف فانتقل من العبودية إلى الحرية بالفعل، لكن الشخصية في الرواية انتقلت من الحرية إلى الخضوع

(1) - إبراهيم سعدي: فتاوى زمن الموت (رواية)، مصدر سابق، ص73.

لـ"موسى" الذي مارس عليها وعلى أمثالها عبودية جديدة أساسها التسلط الفكري، كما أن "عنتر" هذا أعرج ولا أستبعد أن يراد بتلك العلامة الجسدية علامة موضوعاتية وهي العرج الفكري والتخبط والانتقال من حال إلى حال.

ولا أستبعد أن يكون "بو راسين" علامة في الرواية للإشارة إلى ذلك التيار الفكري الذي ينسلخ من الماضي رغم أنه عايشه ولا يستطيع لأمر ما الاستمرار أو الخوض فيه ليعيش فقط حاضره ويفكر في مستقبله بعد أن حقق استقلاله، فلم يعد يعيش على مساعدة الغير، لكنه بالرغم من عدم إضراره بأحد إلا أنه لم ينجح - كغيره من التيارات الفكرية والاجتماعية الأخرى في الجزائر - من عبث العابثين وإرهابهم.

و في رواية "بحثا عن آمال الغبريني" تتعارض شخصية "المهدي" بنائيا ودلاليا مع شخصية "الأستاذ خضراوي"، بالرغم من أن كليهما أدرك حبه لـ"آمال" بعدما ابتعدت عنه إلا أن "خضراوي" بذل كل جهده في سبيل العثور عليها بالرغم من مرضه، لكن "المهدي" لم يفعل شيئا وبقي مكانه أسير وضعه وخوفه، ولم يتحرك إلا في النهاية بعدما عرف من "موح شريف" أن "آمال" لم تغادر الجزائر حيث أخفى الخبر عن الأستاذ "خضراوي" الذي هلك في مالي بـ"مدينة خليل" بحثا عنها.

يرفض الأستاذ "خضراوي" حرص "موح شريف" الزواج من أخته "هدى" لتعلقه بـ"آمال"، أما "المهدي" فيرفض الزواج منها بسبب ظروفه الاجتماعية والمادية القاهرة.

يلتزم الأستاذ "وناس خضراوي" خلقيا واجتماعيا، فيواظب على قراءة "إنجيل متى" ويساعد "آمال" حينما تطلب منه المساعدة المادية أو الاجتماعية، فيقف لجانبها ويضحي بمنصب عمله بحثا عنها في كل مكان، ولا يبالي بالتهديدات الإرهابية التي روعت المثقفين، ولا يقترب الرذيلة، أما "المهدي" المغراني" فيهرب لمدينة الجنوب لتلقيه تهديدا بالموت ويرتكب المحرمات. ويجد في السكر والمخدرات مهربا ويزني بـ"ليليانا". وتتمكن الغيرة من السيطرة على قلبه ويتعرف على "آمال" ويحبها

ويتمنى لو بقيت معه دون أن يبذل جهدا أو يضحى في سبيل تغيير وضعه أو التصدي للمعوقات فيكتفي بالخضوع للظروف.

يمثل الأستاذ "خضراوي" بعلماته البنائية تيارا في المجتمع الجزائري سعى لإيجاد الحل للمعضلة الجزائرية خارج الجزائر بعدما استعصت عليه في الجزائر. ويمثل "المهدي" أيضا بعلماته البنائية تيارا آخر في الجزائر عانى من المعضلة ولم يفعل شيئا لعلها، لكنه يتحين الفرصة ليستغلها لصالحه. ويمكن أيضا أن تعتبر شخصية "بو جمعة" بعلماته البنائية تيارا آخر هو "التيار الإسلامي" ممثلا في "الجبهة الإسلامية". وهو مختلف تمام الاختلاف عن هذين التيارين وهو الذي ارتبط بـ"آمال" وغير مجرى حياتها فألبسها الحجاب.

"موح شريف": هو ابن الجنوب يتكلم على أخبار "آمال الغبريني"، بعدما تعلق بحبها دفعه ذلك ليوحي لـ"وناس خضراوي" بالزواج من أخته "هدى" الفتاة الرائعة الجمال التي تضاهي "آمال الغبريني"، كما طلب من "المهدي" أن يتزوجها، وكان الأستاذ "خضراوي" قد طلب منه أيضا القيام بذلك لكنه رفض، ويمكن أن تكون "هدى" معادلا موضوعيا لـ"آمال" بعدما نتعرف على مدلولها على مستوى العلامة. فـ"آمال" تمثل علامة دامغة ورمزا للجزائر الوطن، كما أوحى لذلك الكاتب باعتبارها مولودة من أم جزائرية وأب ضابط فرنسي، كانت الأم قد أحبته حبا جنونيا، وحملت منه سفاحا، فأنجبت "آمال" الفتاة التي وقع في حبها وهام بها و أراد تملكها، وتصارعت من أجلها كل التيارات الوطنية والإسلامية والديمقراطية، لكنها في كل مرة تستسلم لواقعها، ثم سرعان ما تغيره ليبقى امتلاكها والتمتع بحبها أملا قائما لا يتحقق، ويمكننا أن نتبين ذلك في رسالة الأستاذ "خضراوي" لـ "المهدي" حيث كشف ما ترمز إليه "آمال الغبريني" بعدما أدرك أن الوصول إليها محال يقول: "الن تتال شيئا من

آمال المهدي آمال طائر يحلق في أفاق بعيدة لا متناهية نجم مشع سيار غير قابل للامساك نور مضيء لا احد يستطيع أن يملكه لنفسه حلم غير قابل للتحقيق، وهم ساحر لكنه مستحيل المنال⁽¹⁾. وفي رواية "بوح الرجل القادم من الظلام" يمكن القول أن الحاج "منصور" كان ملاكا تحمل طبيعته بذور الخير، لكنه لم يجد من ينميها في طفولته، وخاصة من والديه فانحرف، مما جعله يسعى للعودة لطبيعته الخيرة، فعمل على تطهيرها والإقرار بالذنوب من خلال البوح بذنوبه في مذكراته. ولحيته ليست تطبيقا للسنة، وإنما هي حزن لموت والدته و"سيلين"، كما أن زواجه من أربع نساء كان إشباعا لشبقيته.

الهروب إلى الدين والتعاقد مع الله كان سببه الرغبة في البقاء على الحياة، والنجاة من المكروه، إلا أن هذا كان مرحلة أولى أو صلته إلى مرحلة أخرى أرقى، وهي أن الخلاص يكون في الدنيا بالتصوف للوصول إلى الصفاء الروحي ومن ثم الخلاص بالدعوة إلى إعادة النظر في الماضي من الحياة وتقويم ما انحرف منها، وإصلاح الضرر والندم على الذنوب، من غير التفكير في العاقبة.

وبلقاء الصوفي "سعيد الحفناوي" وجد في التصوف تصحيحا لانحراف حياته، فحاسب نفسه على ذنوب ارتكبتها وندم. فعذب نفسه في "عين..." طلبا للخلاص. كالصوفي "سعيد الحفناوي" الذي ترك نعيم الدنيا ليعتزلها في قبته بالقفار.

أجد أيضا أن شخصية "عبد اللطيف" (أبو اسامة) تتعارض بنائيا ودلاليا مع شخصية الصوفي "سعيد الحفناوي" ف"عبد اللطيف" استعمل الدين والعنف لتحقيق مشروعته والوصول لمآرب دنيوية، أما الصوفي "سعيد الحفناوي" فاستعمل الدين لمعرفة الله ومحبته، وتخلي عن ملذات الحياة الدنيا في سبيل هذه الغاية.

(1) - إبراهيم سعدي: بحثا عن آمال الغبريني (رواية)، مصدر سابق، ص 249.

تتعارض شخصية "عبد اللطيف" مع شخصية صهره الدكتور الحاج "منصور نعمان"، فالأول لا يملك مؤهلات إصلاح المجتمع، فعندما قام بذلك فكانت الكارثة، أما الدكتور الحاج "منصور نعمان" فيرى أنه يجب إصلاح النفس وتقويمها أولاً.

إن شخصية كل من "حميدة رمان" و"جمال بقة" و"فراح قادري" تتعارض مع شخصية الدكتور الحاج "منصور نعمان". فهذه الشخصيات كان منفاها إجبارياً، أما الدكتور الحاج "منصور نعمان" فكان منفاه اختيارياً، بمعنى أنه هو الذي عاقب نفسه لترويضها والهروب من الشمال طلباً للتوبة.

الشخصيات السابقة الذكر مناضلة على مستوى الفعل والعمل ومن أجل الآخرين، أما الدكتور الحاج "منصور نعمان" فيعمل على معرفة ذاته سعياً لخلاصها، وبالرغم من أنه عاش ودرس في فرنسا، واطلع على الفكر الماركسي "من خلال المناضلة "سيلين" إلا أنه لم يتأثر بهذا الفكر بل تأثر بظروف حياته وأجهد نفسه لإصلاحها.

تتكامل شخصية "كليبير" مع شخصية "ضاوية" في الدور والدلالة فكل واحدة منهما أنارت لمنصور طريقة وساعدته في مسار حياته.

ومما تقدم في هذا الفصل أخلص إلى ما يلي:

• تمثل الأدوار الموضوعاتية تراكماً لأفعالها الشخصية وصفاتها ومؤهلاتها ونوازعها، وكلها تصب في المجال الثقافي الجزائري المتميز بخصوصياته المحددة التي ينتمي إليها العمل الروائي الذي قدم عن كذب رؤية للحياة .

• عملت الموضوعاتية على إظهار الجانب المعنوي والدلالي للشخصية بتوظيف كل ما تراكم مما تعلق بها من أفعال وأسماء وصفات وأحوال، مما تمظهر في شخصية، أو شخصيات معينة.

• عبرت الأدوار الموضوعاتية عن الشخصية الروائية المأزومة، كما صورتها في فضائها وهي تجابه الحياة

إن إبراهيم سعدي" بدأ كتابته باستقطاب فضاء المهجر وآلام القهر، وفي خضم عجز مطبق عن مجابته فهرب رومانسيا لفضاء القرية، لكنه وأمام ركاب الحوادث طور التجربة في الفكر والممارسة فأضحى الفضاء في ثلاثية "فتاوى زمن الموت"، "بحثاً عن آمال الغبريني"، "بوح الرجل القادم من الظلام"، نموذجاً للهروب السوداوي للإحساس بعدوانية الفضاء نحو فضاء آخر لكنه لا يقل عدوانية عنه مما أدى إلى تشظي الفضاء في تلك الروايات وهذا بإحساس الشخصية باللاجدوى مما أوصلها إلى حافة الانهيار .

• إن الشخصية في كل مرة تلقى الهزيمة بفشل في الحياة الفردية، وفشل في الحياة الأسرية، وفشل في الحياة الاجتماعية، والنجاة تكمن في تعديل الرؤية والنظر في الحياة كلها، ولهذا لم تهزم في رواية "بوح الرجل القادم من الظلام"، بل انتصرت على ذاتها وعلى الموت لأنها تخلصت من عذابها في لحظة الضعف الإنساني، فاطمأنت لمصيرها ولم تفكر في طبيعة الخاتمة.

• إن الروايات مثلت نموذجاً للخطاب الواقعي في الرواية الجزائرية العربية، لأنها صورت الواقع المعيش، ولقد بلغ الإيهام المرجعي فيها قمته، فالحوادث والفضاء بإطاره المرجعي ممثلاً في الزمن والأسماء والصفات والمؤنثات والشخصيات، كلها جميعاً تبرز ما له علاقة بالحياة الواقعية واليومية للإنسان في فترة معينة عاشها الناس في الجزائر .
